

١٠ - هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الأولاني فرديريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

الصديق

يقول للنفرد في نفسه (لا أطيع وجود أحد بقربي) ولكثرة ما يقف محققاً في ذاته تظهر التثنية فيه ، ويقوم الجدل بين شخصيته وبين ذاته فيشمر بالحاجة إلى صديق . وما الصديق للنفرد إلا شخص ثالث يحول دون سقوط التجادلين إلى الأغوار كما تمنع المنطقة المفرغة غرق الماعين

إن أغوار النفرد بعيدة القرار ، فهو بحاجة إلى صديق له أنجاهه العالية ؛ فتقة الانسان في غيره تقوده إلى ثقته بنفسه ، وتشوقه إلى الصديق ينهض أفكاره من كبواتها

كثيراً ما يقود الحب إلى التقلب على الحسد ، وكثيراً ما يطلب الانسان الأهداء ليسترضع ضعفه ويتأكد مكانه مهاجمة الآخرين

من يطمح إلى اكتساب الصديق وجب عليه أن يستعد للكفاح من أجله ، ولا يصلح للكفاح إلى من يمكنه أن يكون عدواً . يجب على المرء أن يحترم عداؤه في صديقه ، إذ لا يمكن لك أن تقترب من قلب صديقك إلا حين تهاجمه وتحارب شخصيته أنت تريد الظهور أمام صديقك على ما أنت عليه هاتكاً كل ستر من خفايا نفسك ، فلا تمجب إذا رأيت صديقك بمرض عنك ويقذف بك إلى بعيد

من لا يعرف للصانعة يدفع بالناس إلى الثورة عليه ، فاحذر العري ، يا هذا ، لأنك لست إلهاً ، والآلهة دون سواهم ينجلون من الاستتار

عليك بارتداء خير لباس أمام صديقك ، تهيب به إلى طلب المثل الأعلى : الانسان الكامل

أفا تفرست يوماً في وجه صديقك وهو قائم لتري حقيقته ؟ أفا رأيت ملامحه إذ ذاك كأنها ملامحك أنت منمكة على امرأة مبرقة ممية ؟ أفا دعرت لمنظر صديقك وهو مستسلم للكرى ؟ ما الانسان ، أيها الرفيق ، إلا كلن وجب عليه أن يتفوق

على ذاته ، وعلى الصديق أن يكون كشافاً صامتاً ، فامسك عن النظر علناً إلى كل شيء ما دمت قادراً في غفلتك على كشف كل ما يفعله صديقك في انتباهه . عليك أن تحل الرموز قبل أن تعلن إشفائك ، فقد ينفر صديقك من الإشفاق ويفضل أن يراك مقنعاً بالحديد وفي عينيك لمان الخلود

ليكن عطفك على صديقك متشجاً بالقسوة وفيه شيء من الحقد ، فيبدو هذا المطف مليئاً بالركة والظرف

كن لصديقك كالهواء الطلق والعزلة والغذاء والدواء ، فإن من الناس من يمجزع عن التحرر من قيوده ولكنه قادر على تحرير أصدقائه

دع الصداقة إذا كنت عبداً ، وإذا كنت عاتياً فلا تطمح إلى اكتساب الأصدقاء

لقد سرت أحقاب طويلة على المرأة كانت فيها مستبعدة أو مستعبدة فهي لم تزل غير أهل للصداقة ، فالمرأة لا تعرف غير الحب إن حب المرأة ينطوي على تصف وعماية تجاه من لا تحب ، وإذا ما اشتعل بالحب قلبها فإن أنواره ممرضة أبداً لطيف للبرق في الظلام ...

لم تبلغ المرأة بمد ما يؤهلها للوفاء كصديقة ، فإلى الإهرة ، وقد تكون عصفوراً ، وإذا هي ارتقت أصبحت بقرة ...

ليست المرأة أهلاً للصداقة ، ولكن ليقبل لي الرجال من هو أهل للصداقة بينهم ؟ إن فقر روحكم وخساستها يستحقان اللعنة أيها الرجال ، لأن ما تبدلونه لأصدقائكم يمكنني أن أبذله لأعدائي دون أن أزداد فقراً

إنكم لا تتخذون إلا الأصحاب ، فإلى متى تسود الصداقة بينكم ؟

ألف حرف وهرف

لقد شاهد زارا كثيراً من البلدان وكثيراً من الشعوب ، فنقد إلى حقيقة الخير والشر ، وعرف أن لا قوة في العالم تفوق قوتهم

تحقق أن ليس على الأرض من شعب تحلوه الحياة دون أن يخضع النظم والسُنن لتقديره ، وأن كل شعب يرى من واجبه ، إذا أراد الحياة ، أن يجيء بتقدير يختلف عن تقدير من

يجاوره من الشعوب . وهكذا كان ما يراه أحدها خيراً يراه الآخر دناءة وعاراً

ذلك ما عرفته ، فكلم من عمل اتشح بالصيب في بلد ، رأيت به مجللاً بالشرف والفخر في بلد آخر لم أر جارك تمكن من إدراك حقيقة جاره ، بل رأيت كلا منهما يعجب للجنون الآخر وقسوته

لقد علق كل شعب فوق رأسه لوح شريعته ، وسطر عليه ما اجتاز من عقبات وما تضرع لإرادته من عزيم ، فما تراءى له صعب للنال فهو موضوع تعجيد ، وما خيره إلا حاجة ملحة عز مطلبها ، فهو بقدر كل وسيلة تمكنه من الظفر بهذه الحاجة إن كل ما يوطد الحكم لهذا الشعب ، وكل ما ينيله النصر والمجد ويلقى الرعب في روع جاره مثيراً حسده إنما هو في نظره ذو المسكاة الأولى ، وما احتل للقمام الأول في اعتباره يصبح مقياساً لجميع أموره ومعنى لجميع ما يحيط به ؛ فإذا ما تمكنت من الاطلاع على حاجات أي شعب وخبرت أرضه وجوه وحالة جاره ، فأنت لتدرك التواميس التي تتحكم فيه وتحفره إلى المجالدة للغبلة على أهوائه ، ولتعرف السبب في اختياره مراقبه الخاصة بتدرج عليها لبلوغ أمانيه

(عليك أن تكون سباقاً مجلياً في كل مضار ، فلتتفاد نفسك بغيرتها كيلا تبذل الولاء إلا للصديق)

إنها الكلمات إذا وقعت في أذن يوناني ، ترتعش نفسه لها فيندفع إلى اقتحام الصعاب طلباً للمجد

(قل الحق ، وكن ماهراً في تفويق سهامك من قوسك)

إنها الوصية صبت وعزّت على الشعب الذي اقتبست اسمي منه ، وفي هذا الاسم من المصاعب قدر ما فيه من أعجاد

(أكرم أباك وأمالك ، ولتكن باراً بهما من صميم قلبك) وهذه الوصية القائمة على إرغام النفس ، قد عمل بها شعب آخر فبلغ القوة وأصبح خالداً

(كن أميناً وابذل للأمانة دمك وشرفك حتى ولو كانت جهادك في سبيل ما يضير وما يورد المهالك)

وهذه أيضاً وصية عمل بها شعب آخر ، فتقلب على ذاته وأصبح عظمياً مثقته الأمانى الجسام

لقد أقام الناس الخير والشر ، فابتدعوها لأنفسهم ،

وما اكتشفوها ولا أنزلا عليهم بهاتف من السماء لقد وضع الانسان للأمور أقدارها ليحافظ على نفسه ، فهو الذي أوجد للأشياء معانيها الانسانية

ما التقدير إلا الابداع بيمينه ، فاصفوا إلى أيها الموجودون ما الكنوز والجواهر إلا أشياء أرادها تقديركم جواهر وكنوزاً ، فما القيمة إلا اعتبار ، ولولا التقدير لما كان الوجود إلا فتوراً لا نواة فيها . اسمعوا أيها الموجودون : — إن قيمة الأشياء تتغير تبعاً لتحول اعتبار الوجود ، ولا بد لهذا الوجود من أن يهدم في كل حين

لقد كانت الشعوب تتولى الابداع في البدء حتى ظهر الأفراد للموجودون ، فما الفرد في الواقع إلا أحدث هيئات الوجود

لقد أقامت الشعوب لنفسها قدماً شرعية خيرها ، ومانشأت هذه الشريعة إلا باتفاق المحبة التي طمحت إلى السيادة ، والمحبة التي رضية بالامثال

إن هوى المجموع أقدم من أهواء الفرد ، وإذا كان خير الضمائر ما يكن في المجموع ، فإن شرها ما يتجلى في الفرد المعلن شخصيته والحق أن الشخصية المراوغة التي لا حجة فيها ، الشخصية التي ترى إلى الاستفادة من خير الاكثية ، إنما هي عنوان انحطاط المجموع لا مبدأ كيانه

ما خلق الخير والشر في كل عصر إلا التهوسون المبدعون ، وما أضرم نارها إلا عاطفة الحب وعاطفة الضنب باسم الفضائل جماء !

لقد شاهد زارا كثيراً من الشعوب والبلدان فما رأى قوة على الأرض تفوق قوة التهوسين ، والقوة معنى لكلمتي الخير والشر ما أشبه ما يستدعي التمجيد ويستوجب العقاب بالمسخ المائل ، فن له بسحق هذا المسخ ، أيها الاخوة ؟ من سيشد بالأغلال على ما يتلعب هذا الحيوان من آلاف الأعناق ؟

لقد بلغت الأهداف الألف عدا إذ بلغ عدد الشعوب ألفاً ، فنحن بحاجة إلى قيد واحد لألف عنق ، لأننا بحاجة إلى هدف واحد ، فال بشرية لم تعرف حتى اليوم لها هدفاً ، ولكن إذا كانت الانسانية تسيروا لا غاية لها ، أفليس ذلك لقصورها وضلالها ؟ هكذا تسلم زارا

(يتبع) فيليكس فارس